المآخذ الشعرية

عقد اقوال حكماء العرب

عقد بعضهم قول لقمان الحكيم لولده : يا بنيَّ اذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر انت بحسن صمتك

الصمتُ زين والسكوت سلامة فاذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما إن ندمتُ على سكوتي مرةً ولقد ندمت على الكلام مرارا

وعقد ابو تمام الطائي قول اكثم بن صيفيّ : انما انتم اخبار فطيبوا اخباركم

وما أبن آدم الاَّ ذكر صالحة او ذكر سيئة يسري بها الكلمُ
أما سمعت بدهر باد امتهُ جاءت باخبارها من بعدهِ أممُ

وقال الاحنف بن قيس : يضيق صدر الرجل بسرّهِ فاذا حدّث بهِ قال اكتمهُ عليَّ . وانشد

اذا المرء افشى سرّهُ بلسانهِ ولام عليهِ غيرهُ فهو احمقُ
اذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسهِ فصدر الذي يستودع السرّ اضيقُ

وأخذ الخليل بن احمد الفراهيدي قول الاحنف ايضاً : ما عاداني احدٌ قط الاَّ اخذتُ في امرهِ باحدى ثلاث خصال . ان كان اعلى مني عرفتُ لهُ قدرهُ . وان كان دوني رفعت قدري عنهُ . وان كان نظيري تفضّلتُ عليهِ

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنبٍ وان كثرت منهُ اليَّ الجرائمُ
فما الناس الاَّ واحدٌ من ثلاثةٍ شريفٌ ومشروفٌ ومثل مقاومُ
فاما الذي فوقي فاعرف قدرهُ واتبع فيهِ الحق والحقُّ لازمُ
واما الذي دوني فاحلم دائماً اصون بهِ عرضي وان لام لائمُ
واما الذي مثلي فان زلَّ اوهفا تفضّلتُ ان الفضل بالفخر حاكمُ

وعقد احمد الجوهري المكي قول الاحنف : كفى بالرجل رأياً اذا اجتمع عليهِ امران فلم يدرِ ايهما الصواب ان ينظر اعجبهما اليهِ واظلبهما عليهِ فليحذرهُ

اذا التبس الامران فالخير في الذي تراهُ اذا كلفتهُ النفس يثقلُ
فجانب هواها واطّرح ما تريدهُ من اللهو واللذات ان كنت تعقلُ

و يقرب منهُ قول ابي الفتح البستي وهو قبل المكي بزمان

وان هممتَ بأمرٍ ولم تطق تخريجهُ
فقس قياساً صحيحاً وخذ بضدّ النتيجهْ

ونظم الآخر قول الاحنف لابنهِ : يا بنيَّ اذا اردت ان تؤاخي رجلاً فاغضبهُ فان انصفك والاَّ فاحذرهُ

اذا كنتَ مختصاً لنصك صاحباً فمن قبل ان تلقاهُ بالودّ أغضبهْ
فان كان في حال القطيعة منصفاً والاَّ فقد جرَّبتهُ فتجنَّبهْ

وقال هدبة العذري وهو يوافق قول الاحنف ايضاً : ان رأيت الشرَّ يتركك ان تركتهُ فاتركهُ

ولا اتقيَّ الشرَّ والشرُّ تاركي ولكن متى احملْ على الشر اركبِ
ولستُ بمفراحٍ اذا الدهرُ سرَّني ولا جازعٍ من صرفهِ المتقلّبِ

وألَّم البستي بقول الاحنف : من ظلم نفسهُ كان لغيرهِ اظلم . ومن هدم دينهُ كان لمجدهِ اهدم

كلُّ الذنوب فان الله يغفرها ان اسعف المرء اخلاصٌ وايمانُ
وكل كسرٍ فان الله يجبرهُ وما لكسر قناة الدين جبرانُ

وذكر المزاح بحضرة خالد بن صفوان فقال : ينتف احدكم اخاهُ مثل الخروف . و يفرغ عليهِ مثل المرجل . ويرميهِ بمثل الجندل . ثم يقول انما كنت امزح . فاخذ هذا المعنى محمود ابن الحسين الورّاق وقال

تلقى الفتى يلقى اخاهُ وخدنهُ في لحن منطقهِ بما لا يغفرُ
ويقول كنتُ مازحاً وملاعباً هيهات تدرك في الحشى ما تسترُ
او ما علمتَ وكان جهلك غالباً ان المزاح هو السباب الاصغرُ

وقال الامام علي بن ابي طالب : سرُّك أسيرك فاذا تكلمتَ بهِ صرتَ أسيرهُ فعقدهُ احدهم بقولهِ

صُنِ السرَّ عن كل مستعجبٍ وحاذر فما الرأي الاَّ الحذرْ
أسيرك سرُّك إن صنتهُ وانتَ أسيرٌ لهُ إن ظهرْ

وقال الآخر مما يهذا المعنى

كلُّ عيٍّ ليس في القرطاس ضاعْ كلُّ سرٍّ جاوز الاثنين شاعْ

وعقد ابو عثمان بن ليون النجيبي تولاً للامام علي فقال

من تفضّلتَ عليهِ أنتَ لا شكَّ اميرهْ
ومن احتجتَ اليهِ أنت بالرغم أسيرهْ
ومن استغنيت عنهُ أنت في الدنيا نظيرهْ

وقال الخليل بن احمد عاقداً قولهُ ايضاً : قيمة كل امرئ ما يحسن

لا يكونُ العليُّ مثل الدنيِّ لا ولا ذو الذكاء مثل الغبيِّ
قيمة المرء قدر ما يُحسن المرء قضاه من الامام عليِّ

وبمعناهُ ألمَّ ابن الوردي في لاميتهِ الحكمية فقال

قيمة الانسان ما يحسنهُ اكثر الانسان منهُ او اقلّ

وهكذا فعل ابو العتاهية في قولهِ : ان لله ملكاً ينادي في كل يوم لدوا للموت واجمعوا للفناء وابنوا للخراب

لدوا للموت وابنوا للخرابِ فكلكمُ يصيرُ الى تبابِ

وفعل ابو العلاء بقولهِ لمن كان يشاغبهُ ويماريهِ في امر المعاد : ان كان الامر كما زعمت تخلصنا جميعاً وان كان كما قلت فقد هلكتَ ونجوتُ

زعم المنجم والطبيب كلاهما ان لا معادَ فقلت ذاك اليكما
ان صحَّ قولكما فلست بخاسرٍ او صحَّ قولي فالوبال عليكما

واقتفى اثرهُ ابو تمام الطائي فتناول قولهُ للاشعث بن قيس : ان صبرت صبر الاحرار والاَّ سلوت سلوَّ البهائم

وقال عليٌّ في التعازي لاشعثٍ وخاف عليهِ بعض تلك المآثمِ
أتصبر للبلوى عزاءً وحسبةً فتؤجر ام تسلو سلوَّ البهائمِ

وألمَّ ايضاً بمعناهُ آخر قال فيهِ : الرزق رزقان فرزق تطلبهُ ورزق يطلبك فان لم تأتهِ أتاك . فعقدهُ قائلاً

فالرزق لا تكد عليهِ فانهُ يأتي ولم تبعث اليهِ رسولا

وقال الامام : خير اخوانك من واساك وخير منهُ من كفاك شرَّهُ . فتناولهُ ابو الطيب المتنبي فقال

انا لفي زمنٍ ترك القبيح بهِ من اكثر الناس احسانٌ وإجمالُ

وقال عبيد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر ابن ابي طالب مثلًا بقول الامام علي : الهوى عمى

ولستُ براءٍ عيبَ ذي الودِّ كلهُ ولا بعضَ ما فيهِ اذا كنتَ راضيا
فعينُ الرضى عن كل عيبٍ كليلةٌ ولكنَّ عينَ السخط تبدي المساويا

وعقد الشيخ ابرهيم الاحدب الطرابلسي بعض امثال رويت للامام ابي بكر

الموتُ مما قبلهُ اشدُّ مع انهُ اهونُ مما بعدُ
قد زل قومٌ استندوا امرهمُ لامرأةٍ حيث جنوا ضرهمُ
ان عليك ابداً عيوناً تراك من حلَّ فالزم دينا
ورحم الله امرأً أعانا أخاهُ بالنفس وما أهانا
والنفس اصلحْ يصلح الناس لكا وافعل جميلاً يغدُ خيراً فعلكا

وقال الامام عمر : أريد رجلاً اذا كان في القوم وهو اميرهم كان كبعضهم ، واذا لم يكن اميرهم فكأنهُ اميرهم . وتداول هذا المعنى كثير من الشعراء فقال ابو تمام

متبذلٌ في القوم وهو مبجَّلٌ متواضعٌ في الحيِّ وهو معظَّمُ

وبمعناهُ نظم الخوارزمي

عجبتُ لهُ لم يلبس الكبر حلةً وفينا لان جزنا على بابهِ كبرُ

ونظم الاخر

متواضعٌ والذُّل يحرس قدرهُ واخو التواضع بالنباهة يبذلُ

وسبك بعضهم قول هذا الامام : من كتم سرَّهُ كانت الخيرة في يدهِ . بقولهِ

اذا المرء ابدى سوءةً من لسانهِ ولام عليها غيرهُ فهو احمقُ
اذا ضاق صدر المرء عن كتم سرهِ فصدر الذي يستودع السرَّ أضيقُ

وصب ابو فراس الحمداني بيتاً لهُ في قالب قولهِ : من لم يكفهِ الكفاف لم يكفهِ شيء

ما كل ما فوق البسيطة كافياً واذا قنعتَ فكل شيءٍ كافٍ (١)

وقيل لاعشى بكر الى كم هذه النجعة والاغتراب أما ترضى بالخفض والدعة . فقال : لو دامت الشمس عليكم لملتموها . فلخصهُ ابو تمام الطائي وقال

وطول مقام المرء في الحي مخلقٌ لديباجتيهِ فاغتربْ تتجددِ

(١) وبمعناهُ قول المتنبي : والنفس راغبة اذا رغبتها واذا تردُّ الى قليل تقنعُ . وقيل ان هذا تناوله من حكاء الهند والله اعلم

فاني رأيت الشمس زيدت محبةً الى الناس اذ ليست عليهم بسرمدِ

وشاور عتبة بن ربيعة اخاهُ شيبة في الهجمة وقال : اني قد أجدبتُ ومن أجدب انتجع فنذهب مثلاً . فقال لهُ شيبة : ليس من العزّ ان يتعرّض للذل فنذهب مثلاً . فتناول ذلك ابو تمام قائلاً

اراد بان يحوي الغنى وهو وادعٌ ولن يفرس الليث الطلا وهو رابضُ

وألمّ الآخر بقول سعيد بن العاص : من رزقهُ الله رزقاً حسناً فلينفق منهُ سرّاً وجهراً حتى يكون اسعد الناس بهِ فانما يترك ما ترك لاحد رجلين اما المصلح فلا يقل عليهِ شيءٌ . واما المفسد فلا يبقى لهُ شيءٌ

اسعد بمالك في الحياة فانما يبقى خلافك مصلحٌ او مفسدُ
فاذا جمعتَ لمفسدٍ لم يغنهِ واخو الصلاح قليلهُ يتزيدُ

واخذ ابن الرومي قول عبيد الله بن الزبير : لا عاش بخير من لم يرَ برأيهِ ما لم يرَ بعينيهِ

المرءُ يرى بادئ الرأي آخر الامر من وراء المغيبِ
لوذعيٌّ لهُ فؤادٌ ذكيٌّ ما لهُ في ذكائهِ من ضريبِ
لا يروّي ولا يقلّب طرفاً واكفُّ الرجال في تقليبِ

وقال الثوري : لان احلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها احبّ اليَّ من ان احتاج الى لئيم فيكفّهُ الشاعر بقولهِ

احفظ عرى مالك تحظَ بهِ ولا تفرّط فيهِ تبقَ ذليلْ
وانْ يقولوا بالخل بالعطا فالبخل خيرٌ من سؤال البخيلْ
واحفظ على نفسك من زلقٍ يرى عزيز القوم فيها ذليلْ

وقال الخليل بن احمد الفراهيدي : الرجال اربعة رجل يدري ويدري انهُ يدري فذلك عالم فاسألوهُ . ورجل يدري ولا يدري انهُ يدري فذلك نائم فذكّروهُ . ورجل لا يدري ويدري انهُ لا يدري فذلك مسترشد فارشدوهُ . ورجل لا يدري ولا يدري انهُ لا يدري فذلك جاهل فارفضوهُ . فاخذهُ ابو القاسم الآمدي : وقال

اذا كنتَ لا تدري ولم تكُ بالذي بسائل من يدري فكيف اذن تدري
جهلتَ ولم تعلم بانك جاهلٌ فمن لي بان تدري بانك لا تدري
اذا كنت من كل الامور معمّيا فكن هكذا ارضاً يطاك الذي يدري
ومن اعجب الاشياء انك لا تدري وانك لا تدري بانك لا تدري

وصرّح به الناشئ الازدي في قوله يهجو داود بن علي الاصفهاني الفقيه

اقولُ كما قالـ الخليل بن احمدٍ ... وان شبت ما بين النطائل في الشعرِ
عذلت على ما لو علمت بقدرهِ ... بسطتَ مكان العذل واللوم من عذري
جهلتَ ولم تعلم بانك جاهلٌ ... فمن لي بان تدري بانك لا تدري

وقال حمّاد عجرد بهذا المعنى

وأُقسم لو اصبحتُ في لمة الهوى ... لقصّرتَ عن لومي واطنبت في عذري
ولكن بلائي منك انك جاهلٌ ... فانك لا تدري بانك لا تدري

وكان الخليل مرة على غرفة صغيرة والمجلس متضايق فدخل عليه صاحب فرحب به واجلسهُ معهُ على الغرفة . فقال لهُ الرجل انها لا تسعنا فقال الخليل : ما تضايق سمّ الخياط تتجابين[1]. ولا اتسعت الدنيا لمتباغضين . فاخذ قولهُ هذا غانم وقد دخل يوماً على باديس صاحب غرناطة فوسع لهُ على ضيق كان في المجلس فقال بديهاً

صيّر فؤادك للحبوب منزلةً ... سمُّ الخياط مجالٌ للمحبينِ
ولا تـاح بنيفاً في معاشرةٍ ... فقلما تسع الدنيا بغيضينِ

وقيل ان الخليل بن احمد عاد تلميذاً لهُ فقال تلميذهُ : ان زرتنا فبفضلك وان زرناك فلفضلك فلك الفضل زائراً ومزوراً (وقيل ان هذا جرى للشافعي واحمد بن حنبل) . فتناولهُ الشافعي وقال

قالوا يزورك احمدٌ وتزورهُ ... قلت الفضائل لا تفارق منزلهْ
ان زارني ففضلهِ او زرتهُ ... ففضلهِ فالفضل في الحالين لهْ

والمَّ به الشاعر الآخر فقال

حيثما زرتنا وزرناك يامن ... لم نزرهُ زوراً ولا زار زورا
ففضلٍ هذا وذاك بفضلٍ ... فلك الفضل زائراً ومزورا

وعقد الآخر قول ابي الاسود الدؤلي : ليس شيءٌ اعز من العلم . الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك

ان الملوك ليحكمون على الورى ... وعلى الملوك تحكم العلماء

عيسى اسكندر المعلوف

---

(١) وقيل ان المعنى لاحد فلاسفة اليونان كما مرّ